

الفصل الثالث

obeikandi.com

كيف تستثمر قدراتك الهائلة وتنميها وتحافظ عليها؟

تأخر أحمد عن زيارة عمه حتى ظن العم أنه قد استسلم لإغراءات الحياة وخمولها، ولن يأتي مرة ثانية، كاد يصيبه اليأس لولا اتصال من والد أحمد يشكره على العناية بأحمد، ويبلغه أن تغييرات إيجابية كثيرة طرأت على سلوك أحمد وتصرفاته، أخبره والد أحمد بأن ابنه سَجَل في مدرسة ليلية لمواصلة تعليمه، وأنه لم يعد يسهر حتى وقت متأخر من الليل خارج البيت، وأصبح أقل حدة في تعامله مع من حوله، يحرص على الوصول إلى عمله قبل الوقت، واختفت أيام الغياب وعبارات التذمر التي كان يرددتها بعد نهاية كل يوم عمل، أخبره بأن أحمد سيأتي إلى الغاط نهاية هذا الأسبوع.

وصل أحمد إلى بيت عمه في المساء سلم عليه، وقبل رأسه، واعتذر عن تأخره في المجيء، لكن عمه طمأنه، وقال: ما تأخر من حضر، ومع حرارة اللقاء والدفع من حرارة النار المشتعلة طاب الحديث، وبادر العم أحمد بسؤال:

- ماذا عملت بعد حديثي معك في الشهر الماضي؟
- نفذت بعض ما حدثتني به، ولكنني لم أستطع أن أعمل الكثير، دماء الشباب تطلب المزيد من المتع، وعادات المجتمع تحاصرني من كل جانب، وبرمجة البيت والمدرسة أقوى من كل ما تحاول نشره.

- حدثني أولاً عن الخطوات الإيجابية التي قمت بها.
- رسمت هدفاً، ووضعت خطة، وبدأت أولى الخطوات.
- أخبار جميلة مفرحة، حدثني عن هدفك وخطتك لتحقيقه.
- هدفي أن أكون مدير البنك الذي أعمل حارساً فيه الآن، وفي كل مرة أمرّ بجانب مكتب المدير أقول: هذا مكنتي في المستقبل، تخيلت نفسي أجلس على ذلك الكرسي الوثير، وأستقبل كبار زبائن البنك، وقد وضعت خطة طموحة لتحقيق هذا الهدف، بدأتها بمعرفة المؤهلات المطلوبة للمدير، وقد سجّلتُ لإكمال دراستي الثانوية في مدرسة ليلية، وسوف ألتحق بالجامعة إن شاء الله. لن تصدق كم تندر الزملاء، حين أخبرتهم بهدي، وليتني لم أخبرهم، لقد قالوا: أنت تحلم، وستصبح مديراً في المنام فقط. لقد أطلقوا عليّ (المدير الحالم)، أحدهم أخبر المدير بحلمي، وقال له: يوجد بيننا من ينافسك على منصبك، هدفه أن يحل محلّك، كم هو حالم هذا الحارس.
- وماذا قال المدير؟
- ناداني، وشدّ على يدي، وشجعني، وقال: لا شيء مستحيل يا أحمد، وستنجح بإذن الله.
- هذا مدير عاقل وبعيد نظر ومحب لوطنه، أكثر الله من أمثاله، إياك يا أحمد، أن تسمح لكائن من كان أن يشكك فيا وهبك الله من قدرات كثيرة متعددة، قدرات تسكن بين تلايف مخّ

جبار عجزت أحدث الحاسبات عن مجاراته، وجسم حقق المعجزات، ولا زال يحطم الأرقام القياسية في كل ميدان، وقلب ينبض بالحب الذي هو سرّ بقاء الحياة وثرائها.

لا ترصّ بغير النجاح الباهر بديلاً، القمة تناديك، الأفراد هم أساس نجاح الأمم وتقدم الأوطان. النجاح على مستوى الفرد يقود إلى النجاح على جميع المستويات.

لا تسمح لمن يحاول أن يأخذ منك مجاديف النجاح، ويعطيك بدلاً منها عكاز التواكل والكسل والخمول. قد يكون هذا الشخص من أقرب الناس إليك، قد يكون ذا صلة رحم أو صديق أو زميل، أو رئيسك في العمل، قد يكون حسن المعشر، وقد يعمل ذلك بحسن نية، لكنه بالتأكيد ليس الأكثر حكمة ولا الأنجح ولا الأسعد، النجاح والسعادة توءمان للعمل المنتج النافع والحب الذي ينشر الأمل بين الناس. السحابة الممطرة تحنو على الجميع لا تفرق بين فلاح في حقله أو بدوي في مرعاه.

- أستغرب كيف اجتهد بعضهم ليشط عزيمتي، أحدهم قال لي: أنت تعيش في وهم أحلامك يا أحمد، المراتب العليا من نصيب معارف المدير العام فقط.

- في كل بيت وفي كل مدرسة وفي كل مؤسسة حكومية أو أهلية، نماذج من هؤلاء الذين جندوا أنفسهم لتثبيط الآخرين وشل قدراتهم، يسوؤهم أن يعمل الآخرون. من صفاتهم

حب الراحة وعشق الكسل، هم أقل العاملين إنتاجًا وأكثرهم تدميرًا، يبحثون عن كل عائق ليجعلوه سببًا لقلّة العطاء، يتحدثون كثيرًا عن العوائق، ويضخمونها، لكن لا يُسهمون في حلّها، بل يلقون باللّائمة على غيرهم لوجودها.

- أعجبتني يا عم، في كلامك عن مجاديف النجاح وعكاز التواكل والكسل، هل صادفت في حياتك مثل هؤلاء؟
- صادفت بعض هؤلاء في حياتي الخاصة والعامة، وتتبع مراحل حياتهم، فوجدتهم أقل الناس عطاء، يختارون ضحاياهم بذكاء، ويعرفون أماكن وجودهم، ويتحدثون إليهم في موضوعات شتى أكثرها مكرّر، ويركزون في أحاديثهم على تثبيط الهمم.

تتبع سير الناجحين، فوجدتهم أكثر الناس عملاً وتفاؤلاً وتواضعًا وسعة أفق، ومساعدة للآخرين، واستثمارًا لقدراتهم وأوقاتهم، وجدتهم أصبر الناس وأكثرهم ثباتًا على الأهداف.

الجهل بأسس التربية السليمة المتوازنة والتعليم من أسباب ثقافة المجتمع التي تزخر بالتواكل والتثبيط والتسويق وضياح الفرص. ثقافتنا يا أحمد، في حاجة إلى غربة؛ لأنها تحوي الغث والسمين، عليك أن تختار ما يُلَقِّق بك إلى طبقات عليا من النجاح، منازل هواؤها عليل وسكانها منتجون، وسيحاول الكثير من سكان سفح الجبل أن يبقوك معهم، ويعيدوك من منتصف الطريق، لكن عليك

أن تواصل، وأن تقول لجلسائك من الزملاء والأصدقاء والأقارب: دعوني أنطلق، وألحق بركب الناجحين، قل لهم: أنا لا أعيش في هذه الحياة سوى مرة واحدة، وأريدها أن تكون مثمرة ناجحة، دعوني أنضم إلى المؤثرين المنتجين، لا أريد أن أكون عائلًا على غيري، وإن لم ينصتوا لك فدعهم يحاربوا طواحين الهواء، أكثر من ستصادفهم في حياتك يحاربون أو هامًا لا وجود لها.

طريق النجاح صعب في بدايته وبحاجة إلى تركيز وانضباط وصبر ومثابرة وشجاعة، ونهايته جميلة ونتائجه باهرة، وخصوصًا حين تسعى جاهدًا لمساعدة الآخرين وإشراكهم في النجاح.

- تحدثنا بما فيه الكفاية هذه الليلة وغدًا صباحًا سنتحدث عن بعض أدوات النجاح التي لن تكون في غنى عنها، لا تظن أن النجاح سهل، أو أنه يأتي بالأماني، ولو كان كذلك لنجح الكثير من الناس.



يوجد أكثر من طريق

نحن لا نولد سعداء أو أشقياء،
لكن العامل الأساس في السعادة
والشقاء هو ما نكتسبه من عادات،
وما نتخذه من قرارات، وما نؤمن
به من أفكار.

المؤلف

- في الطريق إلى قمة الجبل سلك العم طريقاً غير طريقه المعتاد،
سار في وادٍ كَوْنَتَه الطبيعة منذ ملايين السنين، تحفه السكينة،
ويتوشح بالصمت، وتزينه أشجار الطلح والسدر والعوشز،
وتتقافز على صخوره طيور الجبل، وتستقبل سفوحه أشعة
الشمس الحانية.
- هذا يا عمي، طريق جديد إلى قمة الجبل أراه أجمل من الطرق
السابقة.
- لا يوجد طريق واحد إلى القمة، ولولا تعدد الطرق لضاقت
على سالكيها، عليك يا أحمد، أن تطرح البدائل دائماً، يظن أكثر
الناس أنه لا يوجد سوى طريق واحد أو رأي واحد، ولهذا
يضيقون بالاختلاف، وتدور بينهم المعارك. إياك واليأس،
عليك بالبحث عن البدائل بكل همة، من لا يرى سوى الأسود
أو الأبيض فلن يرى الألوان الجميلة الأخرى في قوس قزح.
عليك أن تبحث عن الحلول المبتكرة وطرح المزيد من الأسئلة.

تذكر أن المعرفة قوة، وتكمن الفائدة الحقيقية في توظيفها ووضعها موضع التنفيذ؛ لذا لن تغير عاداتك، ولن يتحقق النجاح إلا بقرارات شجاعة تتخذها في حياتك حينها يحدث الفرق، ودعني أسوق لك مثالاً: الأطباء يعرفون جيداً أضرار السمينة وأخطار التدخين، ومع ذلك نرى بعضهم يشكون من زيادة الوزن ويدخنون. ليس كل من يعرف الحقيقة يتبعها، والسبب إما أنه بدأ العادة قبل المعرفة التامة بأضرارها، أو أنه يعد نفسه بالتخلص منها في يوم ما، أو أن الصحة ليست ضمن أولوياته، وقس على ذلك الآباء والأمهات والمعلمين الذين يعلمون أهمية التربية وأهمية العادات الجيدة لأبنائهم وطلبتهم ومع هذا لا يعيرونها أي اهتمام؛ لذا فالقرارات هي التي تصنع الفرق.

- هل ما زلت تتخذ قرارات جديدة يا عم؟
- نعم، وإليك مثالاً آخر عن قرار اتخذته هذا العام، بعد إجراء الكشف الطبي السنوي قال لي الطبيب: كل شيء على ما يرام باستثناء نسبة الكوليسترول، فقد كانت أعلى مما يجب؛ لذا عليك أن تنتبه لقائمة طعامك، وما دمت تمارس الرياضة فلا شيء سيفيد، إنه عامل السن، وسنعطيك دواء تأخذه يومياً يعيد الأمور إلى نصابها، طلبت من الطبيب أن يعطيني فرصة أخيرة لأجرب علاج الطبيعة، عدت إلى البيت، واتخذت قراراً يعدّ من أهم القرارات التي اتخذتها فيما يخص الصحة، أن أتجنب

للحوم الحمراء والدهون والسكريات، وقللت من تناول الخبز بأنواعه، وأكثر من الفواكه والخضروات والسلطات بأنواعها، وتجنب كل ما قلي بالزيت، صرت أتناول الحليب قليل الدسم واللبن والزبادي كل يوم، أما البيض فأتناوله مسلوفاً، وزدت من جرعة الرياضة، عدت إلى الطبيب بعد ستة أشهر، ابتسم الطبيب، وقال: ما شاء الله كل شيء على ما يرام، سألته عن نسبة الكوليسترول؟ فأجاب: ممتازة عاد إلى مستواه الطبيعي، والأهم هو نقص الكوليسترول الضار، قلت للطبيب: ما تراه من تحسن هو بفضل الله ثم بفضل قرار اتخذه ونفذته بكل اقتناع وانضباط، لقد تخلصت من الوزن الزائد أيضاً، تخلصت من خمسة كيلو جرامات من الشحوم كانت تغلف الكبد والكلية، وتزيد من ضغط الدم والكوليسترول، قلت للطبيب: هذه وصفت لو أعطيت لكل مريض، وطبقها لوفرنّا آلاف الأرواح وبلايين الريالات التي نصرفها على العلاج والدواء، وبلايين أخرى على أغذية مضرّة كاللحوم الحمراء والدهون والسكريات، أغذية تسهم في مزيد من السمنة، وتجلب المرض لأجسامنا وترهقها، قال الطبيب مبتسماً: وهل تريد أن نعيش في بطالة، وأن تخلو المستشفيات من المرضى؟ أجبت: سيكون لكم زبائنكم مهما اجتهدنا، الحياة مليئة بالمتناقضات، وأضفت: إذا اقتصرَت مهمة وزارة الصحة على استقبال المرضى في المستشفيات فقط، فسوف

تمتلى المستشفيات الحالية بالمرضى، ولن تتمكن الوزارة من تقديم العلاج المناسب للمواطنين والوافدين، والحل أن نركز على الوقاية مبتدئين بطب الأسرة، وأن نولي اهتمامًا خاصًا بطلبة المدارس والجامعات، الوقاية هي سلاحنا الأول ضد المرض، حينها سنوفر الكثير من الألم والمعاناة، والثروات المهدرة.

كنت أعرف فوائد الخضر ومضار اللحوم والدهون ودور النسويات في زيادة الوزن، لكن المعرفة لم تنفع إلا حين اتخذت القرار.

أعرف شخصين من أبناء هذه البلدة، اشتغلا معًا في الزراعة وفي الحرف اليدوية، تعبوا وتكدوا الكثير من المصاعب، أحدهما قرر ترك الزراعة، وانتقل إلى الرياض، ودخل المدرسة الليلية، وحصل على الشهادة الابتدائية، وحصل على وظيفة حكومية، ثم واصل دراسته حتى حصل على الشهادة الثانوية في سن الأربعين، تدرج في المناصب، وانتسب للجامعة، وحصل على الشهادة التي أهله فيها بعد إلى أن يصبح مديرًا ماليًا، وتقاعد في المرتبة الخامسة عشرة، زميله الثاني بقي في الزراعة، وأصاب بعض النجاح، لكن ليس كزميله الذي اتخذ قرارًا شجاعًا، وهو أن يغير مسار حياته.

- كأنك يا عم، تمجد الوظيفة، وتخط من مهنة الزراعة.
- ليس هذا هدفي، بل الهدف هو أن أبين أهمية الشجاعة في اتخاذ القرار والتأثير الإيجابي للتعليم مع البحث عن عمل يكفي

الحاجة، كما تعمل أنت الآن، أما الزراعة فهي من أنبل المهن وأمتعها.

القرارات الجريئة المدروسة والشجاعة هي التي تصنع الفرق، قد تكون بسيطة وتأثيرها بسيطاً، وقد تكون كبيرة، وتحتاج إلى سنوات من العمل والمثابرة، النجاح حليف أصحاب القرارات الشجاعة التي تغير العالم، وتقود إلى فرص أفضل، وقد لا تتخذ القرار الصحيح في البداية، وقد تتخذ قراراً لا يناسب قدراتك ومواهبك، وقد يكون رزقك ونجاحك في بلد آخر، قد تكون الخطوة الأولى تغيير الأصدقاء أو الزملاء، وأنا لا أعني التخلي عنهم تماماً، لكن ابحث عن المجدين المخلصين المحفزين بدلاً من الكسالى المشبطين. قد يبدأ التغيير في إعادة برمجة الأولويات، وفي طريقة قضاء الوقت واستثماره، اجعل التغيير للأحسن شعارك في الحياة.

وسأحدثك قبل أن نصل إلى القمة عن سبب آخر من أسباب النجاح.



التحفيز وقود النجاح

تتحول الجذوة الصغيرة إذا نفخ
فيها إلى لهب.

المؤلف

تدري يا أحمد، أنه لولا ذلك الغار الذي يقع في قمة الجبل
والذي خططنا للوصول إليه لتوقفنا في هذه البقعة الجميلة من
الوادي، الهدف من أهم المحفزات لمواصلة الصعود، التحفيز حالة
نفسية وشعور يوجه تصرفات الشخص، ويشحذ همته، ويحافظ
عليها، وهو عكس تثبيط الهمم تمامًا، وله دور فعال فيما نحققه من
نجاحات وإخفاقات، وما يحيط بنا من مؤثرات.

لي صديق عزيز يسكن قريباً مني، ولعلي أدعوه في المرة القادمة
لترى الجانب الآخر من هذا العالم العجيب، يزورني بين الحين
والآخر، وفي كل مرة أجده متشائماً يرى الحياة من خلال عدسات
نظّارته القاتمة لا أمل عنده بمستقبل أفضل، نناقش في أمور كثيرة،
يرى الجانب المظلم دائماً، وأنا أرى الجانب المشرق في كل الأمور،
وكلانا على حق، ونتحدث عن حقائق موجودة، وفي النهاية يخرج
من عندي مبتسماً، وإن لم يكن مقتنعاً بما أقوله له، يقول لي: «يعجبني
تفاؤلك، أنت رجل محفّز ليتك تكتب عن هذا كثيراً، كم نحن في
حاجة إليه»، وقد كان كلامه من أسباب حديثي معك ومع غيرك،
وفي الكثير مما أكتب.

صديق آخر يعمل في مجال الأبحاث في مؤسسة علمية كبيرة، جاءني يائساً، وقال: لا فائدة مما نقوم به من أبحاث، لن نصل إلى نتيجة ونحن غير جادين في محاولتنا لا متلاك التقنية، نريد أن نختصر الطريق، ونصل إلى النتائج قبل أن نعرف أسرارها، نريد أن نتج كما تنتج الدول المتقدمة دون أن نتبع خطوات البحث العلمي الجاد منذ البداية، ثم أضاف: رؤساؤنا يخدعون أنفسهم، ويخدعون غيرهم، فهم لا يعملون بجِد، ولا يحفزون، ولا يشجعون، ولا يعملون بروح الفريق، كل مسؤول يقبع في مكتبه الفاخر، ويقفل على نفسه الباب، ويهتم بمصالحه الخاصة، هل تصدق أنه مضى على وجودي في تلك المؤسسة ثلاث سنوات لم أرَ مديرها بعد، قلت له: ألا تعتقد أنني وإياك جزء من المشكلة، نحن نخشى من قول الحقيقة، ولا نؤدي ما علينا بكل أمانة وثقة.

- كأنك يا عم، قد أصبحت متشائماً، ووضعت اللوم على صاحبك المسكين.

- لم أكن مثبطاً ولا متشائماً، لكنني كنت أحاول أن أشخص له مشكلة وأدلة على مستقبل أفضل، قلت له: لو اجتهدت فقد تصبح يوماً ما مدير تلك المؤسسة، وقد تحدث التغيير المطلوب، أما إن اكتفيت بنقد غيرك فقط دون أن تعمل فلن تتقدم خطوة واحدة نحو اكتساب التقنية، اكتساب التقنية ليس في شرائها، ولكن في معرفة أسرارها وفي تصنيعها.

- ألسنا نملك أحدث ما توصلت إليه التقنية يا عم؟ انظر ما في يدي من أحدث الأجهزة.

نحن لا نملك التقنية، ولا نعرف أسرارها، نحن نستخدمها فقط، وندفع الثمن غالبًا. امتلاك التقنية يحتاج إلى جهد جماعي وتوجه دولة، وبذل سخي على الأبحاث والتطوير وثقافة مختلفة، وسيكون هذا - إن شاء الله - إذا أدخلنا تغييرات جذرية على التعليم والبحث العلمي. وأنا وأنت من يصنع الفرق، المهم ألا نستسلم، ونواصل المسير حتى آخر خطوة في الحياة.

- وهل اقتنع صاحبك بما قلت له؟

- قال لي: أنت تحلم، وتسبح في عالم الخيال، وبعيدًا عن الواقع.

الناس تختلف كثيرًا في طباعها، وتربيته وثقافتها، وكذلك في التحفيز والحماس، وأحمد الله أن جعلني من المحفزين لنفسي ولغيري، أحب قراءة الكتب التي تزيدني حماسًا ونشاطًا، وتدفعني إلى المزيد من العطاء، ومنها كتب تطوير الذات، وأحب قراءة سير الناجحين، وأتعلّم منها الكثير، وحين كنت في مثل سنّك التحقت بدورات كثيرة معظمها في القيادة والإدارة وتطوير الذات.

ما سيميزك عن الكثير من أبناء جيلك هو البحث عن الأفضل على الدوام، حين تسافر في الإجازة حاول أن تقرن المتعة بالفائدة، لا تبحث عن المتع فقط، النجاح يا أحمد، لا ينتظر المترددين، إنه قطار

يسير بسرعة وله محطات يركب القلة في كل محطة، ويبقى الكثيرون في محطات الانتظار.

- أظن يا عم، أنني سأركب قطار النجاح القادم إن شاء الله؟
- بل أعتقد أنك قد استويت في مقعدك داخل قطار النجاح منذ أن بدأت في تغيير عاداتك ورسم أهدافك.
- لكنني وجدت أن أكثر من حولي غير محفّزين، قليل هم الذين يدعون إلى مزيد من العمل والإنتاج، حتى الدعوة للإخلاص في العمل لا تجد من يؤيدها، أكثرهم يزّم شفّيته، ويقول: من أنت حتى تغرد خارج السرب؟ في كل مرة أحاول القيام بمشروع تجاري أو مغامرة مدروسة، أو تعلم هواية جديدة، أجد أن الكثير من الناس تحاول تشيبي إما خوفاً علي أو غيرة مني.
- تذكر يا أحمد، هذه الحكمة: «العمل شفاء لكثير من أمراض الجسم والمجتمع»، أنت أقدر الناس على تحفيز نفسك، ها أنت رسمت هدفاً وتسعى لتحقيقه، وكأني أستشعر الحماس يدبّ في أوصالك. إذا اشتعلت جذوة الحماس للعمل والتحصيل فمن الصعب على المثبطين أن يطفئوها، بشرط أن تتعهدوا بالمزيد من العمل والقراءة والنشاط الفكري والبدني، هذه الكتب والدورات مثل الأعواد التي تلقى في النار، تزيدها اشتعلاً، وتبقىها متوقدة.
- لكن لماذا يبقى المثبط في مكانه، ولا يحاول اللحاق بركب الناجحين؟

- يقولون في بعض الأمثال: «عود الثقاب الرطب لا يشعل النار». الإنسان المثبط كعود الثقاب الرطب، فاحذر أن تكون عود ثقاب رطباً، الكسل والخمول والدعة من أهم أسباب الفقر وتفشي الأمراض في المجتمعات النامية، والسبب ثقافة متوارثة، تتغنى بالماضي، وتردد عبارات تحث على الدعة يلقيها الآباء والأمهات لأبنائهم، وأحياناً تكون ضمن مناهج الطلبة والطالبات، وتؤخذ مسلمات لا يمكن التشكيك في صحتها.
- أريد أن أبقى على الحماس، لكنني في بيئة تشدني إلى أسفل كلما حاولت الصعود إلى أعلى.
- العمل الجاد لتحقيق الأهداف يعدّ من أهم المحفزات، فابدأ به الآن، ولا تؤجله ليوم آخر، فكل فكرة جميلة تظهر، ثم تختفي مع الوقت إن لم توثقها بالكتابة والتنفيذ دون تأخير، وأكثر ما يقتل الأفكار الجميلة النسيان والتأجيل.
- أريد يا عم، أن أستمتع بوقتي وشبابي، لا أريد أن أكون جاداً أكثر مما يجب، فأرهق نفسي بالعمل، وأنفر أصدقائي مني.
- صدقت، التوازن مطلوب لكن جمال الحياة ومتعتها تكمن في الصحة والنجاح والبذل، جرّبها وسترى أن بها من المتع أضعاف ما في غيرها، ثم اسعَ إلى نشرها لمن حولك، مبتدئاً بأقرب الناس إليك وزوجتك وأطفالك، الاستثمار فيهم هو الأهم، هذا الاستثمار ستجده بعد سنين طويلة، كن رسولاً للنجاح والفأل والأمل، وسترى التحسن المستمر من يوم

لآخر، وسيزداد الحماس حضورًا وتوهجًا. لا يوجد بديل عن تأجيج جذوة الحماس لمن يريد أن ينمو ويتطور.

- من الناس من رزقه الله بوالدين محفزين أو معلمين زرعوا فيه الثقة بالنفس، وساعدوه على رسم الأهداف، ومنهم من لم يحصل على هذه الفرصة، لكن لا بأس أن تكون محفزًا لنفسك، ومحفزًا للغير. وابتعد عن المشبطين، وفرّ منهم فرارك من الأسد.
- وهل لديك محفزات أخرى يا عم، تجعلك تزداد عطاءً كلما تذكرتها؟

- من أهم المحفزات لي على العمل بجِد ومثابرة هو أن أعيش، ويعيش أبنائي وأحفادي في دولة متقدمة تتمتع بالسلام والوفرة المالية والصحة والتعليم المتميز، في ظل أجواء من الحرية للجميع؛ لذا أبدأ بمشروعات جديدة في هذه السن، أتحدث إلى أمثالك، وأكتب الكتب، وأعطي المحاضرات، كلما تذكرت أن الوقت محدود زدت نشاطاً وعطاءً، مع أنني أجِد من يقول: توقف ولا فائدة لما تعمل، أقول له: لولا القطرة لما كان النهر، ولولا البذرة لما كانت الشجرة، وللشاعر:

كُلُّ الْحَوَادِثِ مَبْدُوءُهَا مِنَ النَّظْرِ وَمُعْظَمُ النَّارِ مِنْ مُسْتَصْغَرِ الشَّرِّ

وللآخر:

وَأَوَّلُ الْغَيْثِ قَطْرٌ ثُمَّ يَنْهَمِرُ وَأَوَّلُ الْحُبِّ نَظْرَةٌ ثُمَّ يَسْتَعِرُّ

- لعلنا نكتفي اليوم بما حدثتكَ عنه، ويعلم الله أنني لم أركز على الحماس وعلى الإصرار إلا لعلمي وتجربتي مع الكثير من الشباب مثلك، من الصعوبة أن تقنعهم بالنجاح، لكن من السهولة أن تصدهم عنه، يتأثرون كثيرًا بما يعجّ به المجتمع من مبطات ومعتقدات ما أنزل الله بها من سلطان، بعض المعتقدات سجون عالية أسوارها، نحاول جاهدين أن نحميها من السقوط، لكنها ساقطة لا محالة.

- أشكرك يا عمي، على هذه النصائح، كم تمنيت سماعها، حين كنت في سن مبكرة.

- لم يفتك القطار، ولا تزال صغيرًا والنجاح والتغيير للأحسن متاح للجميع، لا يحدّ بسنّ ولا جنس ولا وظيفة، كلمتي الأخيرة لك قبل أن تغادر هذه البلدة الجميلة عائداً إلى بيتك: «احذر المثبطين، وجالس الناجحين المحفزين».



الإصرار والمثابرة

تتضح ملامح شخصيتك من خلال
قدرتك على المثابرة وتكرار
المحاولات.

جيمس ميتشنير

مضت أربعة أعوام على أول زيارة قام بها أحمد إلى عمه، تغيرت خلالها أمور كثيرة، حصل خلالها على الشهادة الثانوية، وترقى في عمله من حارس أمن إلى موظف داخل البنك، وتضاعف دخله مرتين، ورزق بطفلة جميلة، تحسنت علاقته كثيرًا بمن حوله، هجره بعض أصدقائه، وكون صداقات جديدة، لكنه لا يزال يحنّ لبعض عاداته القديمة، ويتمسك ببعضها.

وصل أحمد إلى مزرعة عمه في يوم ربيعي جميل، كانت السماء ملبدة بالغيوم، والعمّ جالس يراقب مياه الوادي الهادرة، ويستمتع بمراى الحقل، وقد غطّته المياه، يفرح لرؤية البرق، ويطرب لسماع صوت الرعد القادم من بعيد، قبل رأس عمه وجلس بجانبه، رأى الفرح والسرور باديين على محياه، وأراد أن يشاركه هذه الفرحة:

- أراك يا عمي، في غاية الفرح والسرور.
- ومن لا يفرح في مثل هذا اليوم؟ هذا المنظر يا أحمد، هو أجمل منظر يمكن أن يراه ساكن الصحراء، المطر صديق المزارع والبدوي، وصدق تعالى حين قال: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ

شَيْءٌ حَيٌّ ﴿[الأنبياء: ٣٠]﴾، بعد أيام تستبدل الصحراء بحلّتها الشاحبة الكثيبة حلّة خضراء جديدةً، وتتجمل بالزهر البري، وتتعطر بروائحها الزكية.

- اليوم لن نذهب إلى قمة الجبل، فلدينا من الجمال ما يغني عن كل منظر آخر، حدثني عنك وعن مشروعاتك وأنشطتك، فإنني ألحظ تغييرات إيجابية كثيرة.

- أحمد الله، فقد تغيرت أحوالي للأفضل، أكملت تعليمي الثانوي، وترقيت إلى وظيفة أعلى، وتحسنت علاقتي مع الآخرين، لكن لا يزال أمامي الكثير، ما زلت متعلقًا بعادة التدخين، أحنّ إليها بين الحين والآخر، وأكل بشرامة، وفي المجالس لا أزال في خصام مع المختلف، ولا تزال النميمة أهم ما نتداوله في مجالسنا.

- وهل تعتقد أن التغيير يأتي بين يوم وليلة، لو كان بهذه البساطة لتغير الجميع، من الذي لا يريد أن يكون هو وأبناؤه أفضل من في المجتمع؟ كلٌّ يطمح للكمال، ويتحدث عنه، لكن الكلام وحده لا يجدي، بل يأتي أحيانًا بنتائج عكسية، وما لم نقرن الكلام بالأفعال، فلن يتغير الكثير، معرفتك لعيوبك ونقدتها هي الخطوة الأولى للتخلص منها بإذن الله، والإصرار والمثابرة كفيلا بتغيير الكثير مما يعجّب به المجتمع.

- أستغرب كيف يختفي النجاح خلف ضباب الإهمال والجهل والكسل والتواكل؟

- يبدأ كثير من الناس مشروعات أو برامج جميلة ومفيدة، سواء على المستوى الثقافي أو الصحي أو العملي، لكن يتخلون عنها سريعاً، إما لعدم اقتناعهم بفائدتها أو لما تتطلبه من انضباط وجهد، ومع الوقت يخف الحماس، ويغلبهم الكسل، ويعودون لبرامجهم القديمة المثبطة، لي صديق لطيف المعشر حاضر النكتة، يسكن قريباً مني، لاحظت أن ظاهر أظفار أصابع قدميه أسود، والمفترض أن يكون أحمر، قلت له: التدخين والسمنة والكسل عوامل تحاصرک، ولن تتركك حتى تقعدك، ثم قارنت أظفار قدميه بأظفاري، وأضفت: أظفارك مؤشر على صحتك، لونها الطبيعي يجب أن يكون أحمر. قال: وما العمل؟ أجبت: اذهب إلى الطبيب، وخذ كشفاً طبياً، ونوع الأكل، وقلل كميته، وبدأ برنامج الرياضة معاً، استحسن الفكرة، وبدأ بتنفيذها، مشينا في اليوم الأول نصف ساعة وكذلك في اليوم الثاني، رأيت التصميم والإصرار على وجهه، فسرني ذلك، وأثنى كثيراً على هذا البرنامج ونتائجه، دعوته لمصاحبتي إلى قمة الجبل، فلبى الدعوة، وشربنا الشاي معاً في ذلك الغار المطل على البلدة الجميلة، وأقسم بالله إن هذا اليوم من أجمل أيام حياته، ووعدني بتكرارها كلما سنحت الفرصة، غاب عني أياماً، وخفّ الحماس حتى تلاشى أثره،

وأخذ يشتكي من الآثار السلبية للمشي، ترك صاحبي كل شيء، وعاد إلى طريقته الأولى في التدخين والكسل وكثرة الأكل، لم يكن مقتنعاً بكل ما قلت له، البرجة السابقة كانت أقوى بكثير مما كنت أحاول إقناعه به، وبعد عامين أصيب بجلطة أقيده في المستشفى شهراً، وخرج منها بعيب جعله يعرج في مشيته، وصار يعاني آلاماً في العمود الفقري لم يجد له علاجاً. مع الأسف لم تكن الصحة ضمن أولوياته، ولو كانت كذلك لما فكر في ترك الرياضة، ولو استبدل بالمتع الآنية، كالتدخين وكثرة الأكل متعة الصحة على المدى البعيد لتخلص من كل أعداء الصحة، ولو وضع برنامجاً يتلاءم مع هذه المتطلبات.

- ألم يكن يبحث عن الصحة والنشاط؟
- بلى، كان يريد الصحة، لكن المغريات تتغلب على العقل والحكمة، هالك بيتاً كله حكمة سارت به الركبان لجماله وصدقه للشاعر أبي ذؤيب الهذلي، يقول:

وَالنَّفْسُ رَاغِبَةٌ إِذَا رَغَبَتْهَا وَإِذَا تُرِدُّ إِلَى قَلِيلٍ تَقْنَعُ

هذا البيت مجرب يا أحمد، حتى في صغائر الأمور، فلو رغبت نفسك في وجبة دسمة، فإن الدهن ينشغل، ولا يغفل قبل أن يأكل الوجبة، والعكس صحيح.

من السهولة أن تبدأ برنامجاً مفيداً يعود عليك بالنفع، لكن التحدي هو في مواصلة البرنامج وجعله أسلوب حياة، ما لم يكن لدى المرء اقتناع وإصرار على المواصلة وعدم استعجال النتائج، فإن الكثير من المشروعات سيكون مصيرها الإخفاق مهما كانت منتجة ومفيدة. تذكر هذه القاعدة يا أحمد، «من السهولة أن نعرف الشيء الصحيح، لكن من الصعوبة أن نمارسه».

يقول والتر إليوت: «ليست الماثرة سباقاً طويلاً، بل هي عبارة عن العديد من السباقات القصيرة الواحدة تلو الأخرى».

من الأمور المهمة التي قد تعين على الإصرار والمثابرة وجود قيم يؤمن بها الإنسان، ويتمسك بها، وتكون دافعاً له، كالصحة والحب وترابط الأسرة، وإتقان العمل ومساعدة الآخرين واحترام الآخر وعدم العبث بالبيئة، هذه القيم تساعد على تربية مواطنين أصحاء منتجين.

لي قريبة تبدأ برنامجها الرياضي مدة أسابيع، ثم تتركه عدة أشهر، وتبدأ بغيره وهكذا، حتى صارت لياقتها البدنية ووزنها في تذبذب، وهذا فيه خطر كبير على الصحة.

وحتى يومنا هذا نجح الكثير من الشباب في التجارة وفي قطاع الأعمال لأنهم كانوا أصحاب عزيمة وإصرار وحضور دائم ومتابعة، وفي المجتمع آخرون ضاعت أمواهم لأنهم ركنوا إلى الدعة والكسل، وأوكلوا الإشراف على أعمالهم لغيرهم، ولم يستقروا على حال، بل يتنقلون من عمل إلى آخر ومن نشاط إلى نشاط مختلف تماماً.

يقول مثل صيني: «لا بأس أن تسقط سبع مرات، لكن عليك أن تنهض ثماني مرات»، وهل لاحظت كم مرة يسقط الطفل قبل أن يتعلم المشي، لكنه يصر على التعلم، ولا يتراجع أبداً، كثير من الناس يتراجع منذ المحاولة الأولى، وبعضهم يتراجع قبل الخطوات الأخيرة بقليل. أكثر الناجحين ليسوا أكثر الناس ذكاءً أو عبقرية أو تأهيلاً، لكنهم أكثرهم إصراراً ومثابرة. الإصرار والمثابرة هما سلاح الناجحين.



الثقة بالنفس

المهارة في العمل والثقة بالنفس
جيش لا يقهر.

جورج هيربرت

منظر الوادي وهو ممتلئ بالماء من أجمل المناظر عندي، إنه يأخذني إلى عهد الصبا، حين كنت صغيراً ألهو مع الطيور، ولا أستريح إلا حين يغلبني النوم، كنا نحتفل بمثل هذا اليوم، ونعده عيداً للجميع، في مثل هذا اليوم تتوقف جميع أعمال الري والرعي، واليوم سوف أحدثك، عن صفة تُعدّ من أهم أسباب النجاح، ونحتاج إليها في كل زمان ومكان، تلك هي الثقة بالنفس، يجب ألا نسمح لأحد أن يقلل من ثقتنا بأنفسنا، رجالاً ونساءً، أن نفقد الثقة بأنفسنا معناه أن نسمح للآخرين بأن يحكموا علينا كما يشاؤون، تعزيز الثقة بالنفس تبدأ منذ الصغر بل إنها أجمل ما يعطي الوالدان لأطفالهما، ويفقد الطفل ثقته بنفسه، حينما تساء معاملته، وحينما لا يعطى فرصة لإبداء رأيه، أو حينما نفرق بين الأبناء على أساس الجنس، وهذه من أسوأ أنواع التفرقة، فلكل جنس مواصفاته ونقاط قوته وضعفه، وقد خلقنا الله مختلفين ليكمل بعضنا بعضاً، وليس ليحقر بعضنا بعضاً، فالمرأة تختلف عن الرجل في أمور، والرجل يختلف عن المرأة في أمور أخرى، كل ثقافة تشكك في مكانة المرأة وقدرتها على العطاء هي ثقافة تخلف، وتعني التشكيك في ٥٠٪ من مقدرات الأمة، تعاملنا مع المرأة من أهم أسباب تخلفنا.

- حديثك يا عم، ذكرني بطرفة لها معانٍ عميقة، تروى عن الرئيس الأمريكي السابق كلنتون وزوجته هيلاري، حينما توقفوا عند محطة وقود، قال صاحب المحطة لهيلاري: كنت زميلك في الجامعة، وكنت أتمنى أن تكوني زوجتي.

وبعد خروجهم من محطة الوقود التفت الرئيس كلنتون إلى زوجته، وقال:

- لو تزوجته لكنت زوجة عامل محطة وقود.
- أجابته: لو تزوجته لأصبح رئيس الولايات المتحدة الأمريكية.
- أحسنت يا أحمد، في المرحلة المتوسطة، كان لي صديق طموح ومصمم على مواصلة تعليمه، وليس لوالدته غيره، قال له أحد أقاربه ذات يوم: أنت يتيم، ووحيد والدتك؛ لذا عليك أن تفكر جيداً في وظيفة متواضعة لتكون قريباً منها، ولا تكن طموحاً أكثر مما تسمح به قدراتك، ردّ عليه أحد الحضور بقوله: اليتيم ليس عائقاً، وسيكون التعليم عوناً له على رعاية نفسه ووالدته، لم يستمع اليتيم لنصيحة قريبه، بل اجتهد، ونجح، وواصل تعليمه، وأصبح واحداً من أنجح الأطباء.

يقول الفيلسوف الروماني سينيكا: «لا أحد يعلم مقدار ما يمكن أن ينجز إلا بالمحاولة».

- ما السبب الذي جعل صاحبك لا يأخذ بتلك النصيحة مع أن البيئة في ذلك الوقت قد تكون أكثر تشبیطاً من الوقت الحالي؟

- أعتقد أن السبب كان في طموحه وتأثير صديق مخلص بعيد النظر، يوجد مصدران للأفكار التي تزرع الثقة بالنفس أو تسلبها: المصدر الأول هو الشخص نفسه، كم من الفرص ضاعت على الكثير من الناس، وقد تضيع عليك يا بني، بسبب الأفكار السلبية، التي تصعب من السير في طريق النجاح، وتشكك في القدرات والنتائج، أو كما يقال: تضع العصا في دواليب العجلة لإيقافها، عليك إن أردت النجاح وتحقيق الهدف أن تتوكل على الله، ثم تمضي في تنفيذ الخطة دون الالتفات إلى تلك الأفكار السلبية التي تتراكم، وتحاول أن تشيك عن هدفك، وإن لم تسمع الثناء من الناس فأثنِ على نفسك، وإن لم تسمعهم يصفقون لك فقف برهة أمام المرأة، وصفق لنفسك، وابتسم. تذكر أننا لا نحيا في الدنيا سوى مرة واحدة؛ لذا من الصعب أن نضيعها بين الخوف والكسل والالتكالية والانكفاء.

- المصدر الثاني للثقة بالنفس هو المجتمع والثقافة السائدة فيه فهو أكبر مبرمج لهذا العقل بدءًا بالبيت ثم المدرسة والشارع والإعلام. ولذا نجد الفرق الكبير بين أفراد الدول المتقدمة والنامية، في الدول المتقدمة يشجعون على القيام بالمغامرات المدرسية التي تبعث على النشاط، وتحث على الشجاعة في اتخاذ القرار، ويشجعون على اغتنام الفرص، سواء في التعليم أو العمل؛ لذا فهم أكثر إنتاجًا وأكثر حصولًا على براءات

الاختراع، ويحثون أبناءهم على بدء المشروعات الناجحة واستثمار أوقاتهم فيما يفيد. أما في الدول النامية، فإن التشييط يأتي من أقرب الناس إليك.

- ما أكثر المثبطات في هذا المجتمع، الآن بدأت أدرك حجم الضرر الذي لحق بي وبغيري من الشباب.

- أكثر المثبطات تلك الأفكار السلبية التي يتناقلها الناس وكأنها حقائق لا تقبل الشك، والسبب كثرة تكرارها إلى درجة أنها صارت من المسلّمات؛ لذا فمن أهم عوامل النجاح البحث باستمرار عن الأفكار المحفزة وتنميتها وتداولها، وعدم الأخذ بالأفكار السلبية وخصوصاً أنها المصدر لكثير من الأمراض النفسية والبدنية، يتداولها الناس، ويجد فيها المتفعون خير وسيلة لكسب المال والثراء السريع، كالترويج للعين والسحر والجن، بعض الأسر ترمج أطفالها على الخوف من هذه الغيبيات حتى تصبح جزءاً مهماً من ثقافتهم، ويعزون الكثير مما يصيبهم لهذه الأسباب، وهذا يقعدهم عن البحث عن الأسباب الحقيقية لما قد يتعرضون له، علينا أن نثق بقدراتنا، وعلى الإنسان أن يطرح على نفسه السؤال الآتي: ما الفرق بيني وبين الناجحين؟ ما الذي يحول بيني وبين النجاح؟ سيجد أن الفوارق قليلة، ويمكن التغلب عليها مع الإصرار والمثابرة. عليك أن تثق بحدسك أيضاً، وما يرسله لك من

إشارات مهمة، عليك أن تسجلها حال وصولها وإلا ضاعت
كما ضاعت آلاف الأفكار الجميلة. طاقاتك هائلة وإمكاناتك
كبيرة ليس لها نهاية.

ناولني القهوة، فهذا أفضل وقت لاحتسائها، انظر إلى الشمس،
وقد بدأت تطل علينا من خلف السحب، وتنشر أشعتها على أطراف
النخل، وها هو قوس قزح يحتضن الجبال وكأنه طوق على جيد
حسناً، ما أجمل هذه اللوحة الفنية التي أبدعها الخالق!، أترى هذا
الوادي بمياهه المتدفقة، لقد بدأ بقطرات بسيطة تجمعت، وكونت
جداول صغيرة التقت، واتحدت مع جداول أكبر حتى كوّنت هذا
الوادي الكبير، وهكذا خطواتك البسيطة تصبح محصلتها إنجازات
كبيرة في رحلة الحياة.

لتنطلق إلى فضاء الحرية والنجاح والصحة والسعادة عليك
أن تفكر خارج المألوف، وألا ترضى بكل ما يعجب به مجتمعك من
متناقضات، ابحث عن الأفكار المحفزة والأصدقاء الطموحين
الشجعان، وإن كانوا قلة في هذا الزمان وفي كل زمان، وإن لم تجدهم
على أرض الواقع فسوف تجدهم في بطون الكتب، وبالأمر كنت
جالساً مع رئيس وزراء سنغافورة (لي كوان يو) كان حديثه لا يمل،
وهو يقص عليّ تجربته في بناء سنغافورة الحديثة.

- وهل كان هنا في الغايط يوم أمس؟

- بل كان كتابه معي، وقد استفدت الكثير من تجاربه، وليت كل مسؤول يقرأ مثل هذه الكتب الناجحة.

طريق النجاح صعب وطويل، لكن عليك بالصبر والتفاؤل
مهما كانت العقبات، واشتد ظلام الليل، فكل ليل يعقبه صباح وكل
جهد يأتي بنتائج.



الصبر

إن كنت في حياتي قد اكتشفت
أي شيء مهم، فهو إعطاء موهبة
الصبر ما تستحقه من اهتمام أكثر
من أي موهبة أخرى.

إسحاق نيوتن

أشكرك يا عمي، على هذه النصائح، ولكنني أراك مشغولاً بهذا
الزائر في فصل الربيع، فهل تأذن لي بالانصراف؟

- على مهلك يا بني، ولم تتجشم عناء الحضور لتعود بهذه
السرعة؟، في عصر التقنية بدأتهم تفتقدون ميزة مهمة هي
الصبر، الكل مستعجل، ولا يريد أن ينتظر، الكل متذمر من
الروتين القاتل الذي يجبره على الوقوف ساعات في المستشفيات
والمطارات وفي الدوائر الحكومية، الكل يريد النجاح بسرعة،
ويريد المال بلا تعب، ويريد الصحة دون أن يمارس العادات
الصحية، تهملون الكثير من الأمور، وتريدون أن تنجزوها
خلال أيام ودون تعب، لا شك أن السرعة مطلوبة، لكن قانون
الحياة يقول لنا: كل شيء يجب أن يأخذ وقته المقرر له، دعني
أحدثك عن الصبر وأهميته قبل أن أدعك تعود إلى أهلك.

عادة الصبر من أهم عادات الناجحين، وهي كغيرها من
العادات يمكن أن نتعلمها، ونذكر أنفسنا بها في كل مرة نمر بمواقف

تحتاج إلى صبر وأناة، أفضل القرارات هي تلك التي تُتخذ بعد تفكير وتأن، وأسوأ القرارات وأكثرها ضرراً هي تلك التي نتخذها بسرعة ورد فعل غير مدروس. أكثر من أغبط من الناس هم الذين يتمتعون بهدوء أعصاب وبعد نظر وصبر، فتأتي ردود أفعالهم متزنة، ولا يسيئون إلى صحتهم ولا إلى غيرهم.

أكثر الناجحين من قادة العالم الذين خلدتهم التاريخ كانوا يتمتعون بميزة الصبر على الشدائد ومواصلة العمل على الرغم من قساوة الظروف، كانت لهم أهداف بعيدة ولديهم ميزة التسامح والصبر، خذ على سبيل المثال نيلسون مانديلا ذلك القائد الذي أمضى في السجن سبعاً وعشرين سنة أكثرها في ظروف قاسية، عقد صداقات مع الجميع ومنهم سجانوه الغلاظ القساة، عاملهم بلطف حتى لانت قلوبهم، وكسبهم، وأكرمهم بعد خروجه من السجن واعتلائه منصب رئيس الجمهورية؛ لهذا خرج من السجن سليماً قوياً بفضل صبره، وتسامحه مع سجانيه في سبيل مصلحة أكبر.

مع الصبر تقل الأخطاء، وتذلل المصاعب، وتحقق النتائج، وتتم المحافظة على أهم ما يملكه الإنسان: صحته وعلاقته مع الآخرين، سجّل كلمة الصبر في مكان بارز، وتذكرها كلما مررت بموقف يستثيرك، أو جاهل يحاول أن يستفزك، ويخرجك عن طورك، تذكر هذه الكلمة السحرية في بداية كل عمل، ومع تعلم كل

عادة جديدة، فلولا المشقة ساد الجميع ونجحوا، حاول أن تمارس
هذه العادة حتى تصبح سلوكاً تعرف به، وتذكر قول المتنبي:

لَوْلَا الْمَشَقَّةُ سَادَ النَّاسُ كُلُّهُمْ الْجُودُ يُفْقِرُ وَالْإِقْدَامُ قَتَالُ

وقول الشاعر:

إِنِّي رَأَيْتُ فِي الْأَيَّامِ تَجَرُّبَةً لِلصَّبْرِ عَاقِبَةٌ مَحْمُودَةٌ الْأَثَرِ

